المملكة الرابعة

طرابلس

طرابلس

قال فى (الروض المعطار): تكتب بالألف.

ويقال: أطرابلس، ومعناها مدينة الناس، وسائر أعمالها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة.

قال القزوينى[1]: هى مدينة على شاطئ بحر الروم، عامرة، كثيرة الخيرات، والثمرات، لها سور منحوت من الصخر، وبساتين جليلة، ورباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون، بها مسجد الشعاب، وهو مسجد مشهور يُقصد بالزيارة، وبها بئر الكنود، وهى بئر زعموا أن مَنْ شرب منها يتحمق، فإذا أتى رجل من أهلها بما يلام عليه، يقولون: لا نعتبك فإنك شربت من ماء الكنود انتهى.

قال فى (كوكب الملك): وكانت فى الأصل من بناء الروم واستولى عليها الفرنج سنة أربع وثمانين وستمائة ثم فتحها المنصور قلاوون فى سنة ثمان وثمانين وستمائة، وخرج بها المسلمون على نحو ميل من هذه المدينة الآن، وسموها باسمها، وهى مصرية شامية صحيحة الهواء، خفيفة الماء، ذات مدارس وجوامع ومساجد وزوايا وأسواق جليلة، وحمامات حسان، وجميع بناها بالحجر والكلس[2] مبينًا ظاهرًا وباطنًا، وغوطتها محيطة بها، وبها نهر ماء محكم على ديارها وطباقها ؛ فيجرى فى أعاليها إلى الأماكن التى لا يتوصل إليها إلا بالدرج العالى.

قلت: إنه يمر على قناطر يقال لها [... ...][•] مشهورة من جبل، والقناطر على وادى هناك.

قال فى الكواكب: ولها مينة جليلة تأوى إليها وفود البحر من التجار وغيرهم، ولم يكن بها قلعة؛ لأن المدينة مكان القلعة بها، معد للقاء العدو، ومن عسكر الإسلام والآت الحرب والمدافع والمجانيق[3] وغير ذلك، وهى تشتمل على ثلاثة مقاصد.

---

(١) انظر: آثار العباد ص٤٠٨.

(٢) الكلْسُ: مادة تستخدم للبناء. انظر: لسان العرب، مادة [كلس].

(•) بياض فى الأصل.

(٣) المجانيق: آلة حربية ترمى بها القذائف، وهى يونانية. انظر: لسان العرب، مادة [منج].

الأول : فى خاصتها، ولم يكن بها من المقدمين سوى نائبها وأمير آخر، وبها أمراء الطبل خاناه والقرارت والخمسات وأجناد الحلقة ورجالها.

وبها من أرباب السيوف: الحجوبية وهم ثلاثة؛ أكبرهم: بطبل خاناه، ويسمى حاجب الحجاب، والآخران: كل منهما مقدم عشرة، وبها المهمندار، وشاد الشربخان[1]، ونقابة النقباء فى معنى نقيب الجيش، وتقدمة التركمان وولاية المدينة، وكلهم أجناد يوليهم نائبها .

وبها من أرباب المناصب الدينية: القضاة الأربعة، ووكيل بيت المال، ولهم من الأبواب الشريفة، وبها قاضى عسكر شافعى وحنفى، وكذلك مفتيًا دار العدل، ومحتسب، وولايتهم من النائب.

وترتيب المواكب فيها: أن للنائب ركب فى يوم الاثنين والخميس من دار النيابة، ويخرج لموكبه بين الأمراء والجند إلى ساحل البحر، ثم يعود إلى دار النيابة ومعه جميع الأمراء خلا الأمير الكبير، فإنه يتوجه إلى بيته، ويجلس النائب بدار العدل، وليس بها كرسى، ويجلس الشافعى والحنفى عن يمينه، والمالكى والحنبلى عن يساره، وحاجب الحجاب، ووكيل بيت المال أمامه تحت القاضى المالكى، وكذلك يجلس القاضى كاتم السرّ أمامه على القرب من يساره، وكتاب الدست خلفه، وترفع القصص، فيأخذها الحجاب الصغار ويناولونها للحاجب الكبير، فيناولها لكاتم السر، ويقرأها عليه، ثم ينفض المجلس، ويمد السماط ؛ فإذا انتهى الأكل انصرفوا إلى بيتهم.

المقصد الثانى: فيما يشتمل عليه المملكة الطرابلسية من المدن، والقلاع، والضياع وغير ذلك وهى ثمانية عشر عملاً .

العمل الأول: حصن الأكراد، وهى قلعة عظيمة من جند حمص مقابلة لها من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان، وكانت محل النيابة، وقطر العسكر قبل فتح طرابلس.

---

(١) الشربخان: بيت الشراب، وفيه شتى أنواع الأشربة التى يحتاجها السلطان، فضلاً عن الأوانى النفيسة، وشاد؛ تعنى المفتش، وهى لفظة تضاف إلى الكلمة لاسم وظيفة. انظر: معجم الألفاظ التاريخية ص٩٥.

الثانى: عمل حصن عكا، قلعة وسط جبل لبنان فى وادٍ والجبل محيط بها، وشُرب أهلها من عين تجرى إليها من جبل لبنان.

الثالث: بلاطنس[1] قلعة حصينة فى جهة الشمال عن طرابلس.

الرابع: صهيون[2]، وهى قلعة حصينة من جند قنسرين مبنية على صخر فى ذيل جبل تظهر من اللاذقية، وبها مياه كثيرة حاصلة من الأمطار .

الخامس: اللاذقية[3] مدينة من سواحل الشام، وعدها القزوينى من أعمال حمص، ولها مينة حسنة.

قلت: وذكر القزوينى أنها مدينة من سواحل بحر الشام سميت باسم بانيها، وهى رومية، وفيها أبنية قديمة، وبها مرقاة[4] جبل، وقلعتان معلقتان على تل مشرف، ملكها الفرنج فيما ملكوه من بلاد الساحل سنة خمسمائة، وللمسلمين بها جامع وقاض وخطيب ؛ فإذا أذّن المسلمون ضرب الفرنج بالناقوس، ثم استرجعها صلاح الدين الملك يوسف -رحم الله روحه- وهى إلى الآن قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومى .

قلت: وقدمنا من ذكرها طرفًا، متقنة البناء، حصينة.

السابع: الرصافة[5] قلعة بالقرب من مصيات وهى أحدى قلاع الدعوة التى كانت بيد الإسماعيلية من السبعة المرقومين بالعذاوية، وهم ليموز لعنهم أصحاب الدعوة الهادية.

قلت: ولعلها التى أحدثها هشام بن عبد الملك.

الثامن: الخوالى من قلاع الدعوة أيضًا فى شمالى طرابلس.

التاسع: القدموس قلعة من قلاع الدعوة على القرب من الخوالى.

---

(١) انظر: معجم البلدان (٥٦٦/١).

(٢) انظر: معجم البلدان (٤٩٥/٣).

(٣) انظر: معجم البلدان (٦/٥).

(٤) المرقاة: سلم منحوت فى الجبل يصعد عليه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رقى].

(٥) انظر: معجم البلدان (٥٣/٣).

قال فى مسالك الأبصار: بها حمام به حيّات تخالط من يلقطها ولا تضره.

العاشر: عمل الكهف على نشز[1] جبل يرى من بعد.

الحادى عشر: المنيقة من الكهف نحو ساعة على جبل مرتفع.

الثانى عشر: العليقة على نحو ساعة من المنيقة على جبل.

الثالث عشر: طرسوس ساحلية.

وفى تقويم البلدان: أن المسلمين حولوا أسوارهم، وهى الآن عامرة، وتقدم من ذلك شىء.

الرابع عشر: المنيظرة[2] من غير قلعة.

الخامس عشر: الضنين.

السادس عشر: العشرية.

السابع عشر: بلدة صغيرة على البحر الرومى، ولها أعمال واسعة، وبها مقام إبراهيم بن أدهم.

الثامن عشر: أنفة[3] بلدة على البحر الرومى، ويرد لها المراكب بقلة.

المقصد الثالث: فيما هو خارج عن حاضرتها من النيابات والولايات وهو نوعان .

النوع الأول: النيابات وهو إحدى عشرة نيابة كلها عشر .

الأولى: نيابة الأكراد.

الثانية: حصن عكا.

الثالثة: بلا طنس.

الرابعة: صهيون.

الخامسة: اللاذقية.

---

(١) النشز: المكان المرتفع، انظر: القاموس المحيط، مادة [نشز].

(٢) انظر: معجم البلدان (٥/٢٥١).

(٣) انظر: معجم البلدان (١/٣٢٢).

السادسة: القدموس.

السابعة: الكهف.

الثامنة: المنيقة.

التاسعة: العليقة.

العاشرة: مصيات لكن أضيفت لدمشق من عشرة، ثم استقر وبها أحد الأجناد، ثم ترابلس بلدة ساحلية من عزاز الغرب، ووكيل للملك وبهذه بالطاء، ويحتمل أنها سميت باسمه والله أعلم.

النوع الثاني: الولايات وهي ست، ووإليها نائبها، وبها أجناد من قبل طرسوس، وجبة المنظرية، وأنفة، وليس بها عربان ولا تركمان.